رابطة العالم الإسلامي

الأمـانـة الـعـامــة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

تحصين الأسرة للأولاد
من مزالق التطرُّف والعنف

إعـداد

الدكتور إسماعيل لطفي جافاكيا

رئيس جامعة فطاني ، عضو المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي - تايلاند

مقدم إلى

المؤتمر الإسلامي العالمي

مكافحة الإرهـــاب

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ - ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

والصَّلاة والسَّلام على رسوله المبعوث رحمةً للعالمين القائل: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(١)، وبعد:

فملف الأسرة الذي سنتطرَّق إليه قديمٌ متجدِّد، وثمَّة تَمَحْوُر عالمي حول الأسرة واستهدافها، لمحاولة إخراجها كوحدة أساس في المجتمع، واستبدالها بأنماطٍ اجتماعيَّة، وعقد مؤتمرات ترمي إلى ابتداع أنماطٍ وأشكالٍ جديدة من الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، تُحَطِّم الحواجز الأخلاقيَّة، وتعارض القيم الدينيَّة، وتنشر الإباحيَّة والتحلُّل؛ باسم الحريَّة والتحرُّر، بل وتُسَوِّق وتُضَخِّم مصطلحات معاداة السّامية، والإسلاموفوبيا، والإرهاب؛ ليصُدُّوا عن سبيل الله ويبغونها عِوَجًا.

وابتداء من منطلق (لا مشاحاة في الاصطلاح)، فإنّ مصطلح (الإرهاب) وَ(الإرعاب) أصيلٌ إيجابيٌّ في الشَّرع الإسلامي، ففي القرآن الكريم: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ [الأنفال: ٦٠].

---

(١) سنن الترمذي، باب: في فضل أزواج النبي ﷺ، رقم الحديث: (٣٨٩٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وَفي الحديث النَّبوي: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ..)[١]، إلاَّ أنَّ هذا المصطلح لاقَى محاولاتٍ للتَّشويش وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، بغزوٍ إعلامي عولمي، وللأسف أسهمَ في ترويجه قصور أفهام بعض المسلمين؛ وضَعْف وَتَهَاوُن بعض الأُسَر المسلمة في التربية والتنشئة الاجتماعيَّة السَّليمة، فانعكس سلباً على الإسلام والمسلمين، بأشكالٍ من العنف والتطرف، الموجودان أيضاً في أتباع الدِّيانات الأخرى!

وقد شرع الله ﷻ بالرِّسالة الإسلاميَّة قيمَ الرَّحمة والتَّراحم، وليس القسوة والتلاحم؛ وهذا روح الحضارة الإسلاميَّة وهدفها الإنساني وغايتها السامية، ويبقى السؤال في عالم متغيِّر: كيف نبني الإنسان الصَّالح المُصلِح، ونُقيم المجتمع، ونُخْرِجُ أمَّة واحدة، كي نبني الحضارة وَنَصِلُ إلى تنمية الحسّ الحضاري؛ للاضطلاع بالعمل والتّسامي بالفعل وُصولاً إلى قيم الرَّحمة وإدراك عطائها، على مستوى الفرد والمجتمع؟[٢]

إنَّ التفكُّك الأسري يزداد اتِّساعاً؛ ودور الأسرة ورسالتها تزداد انكماشاً، وبناء الأسرة يتضاءل، فهل المشكلة حقاً في غياب الأب، أَمْ في أَهْلِيَّة الأب وإدراكه لمهامه؟! فقد يعيش الأب في غيبوبة أُسَرِيَّة، وهو حاضر يعيش بين أفراد الأسرة، وقد نَجِدُ أُسَراً متماسكة متعاونة متكافلة، اعتبرَتْ غياب الأب دافعاً للتماسك والشعور بالمسؤولية، ووجودَه عبئاً على الأسرة!

---

(١) صحيح البخاري، باب: قول النبي ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**».

(٢) يُنظر: د. إسماعيل لطفي جافاكيا، منهجيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة لتجسيد أمَّة واحدة في حياة أهل السنة والجماعة، المؤتمر الدولي الثاني (الدِّراسات الإسلاميَّة في عالم متغيِّر: التحديَّات والفرص)، بجامعة الأمير سونكلا فطاني في الفترة من ١٤-١٦ من يناير ٢٠١٣.

وهل المشكلة حقًا بغياب الأُم لساعة طويلة عن البيت في عمل خارجي، وعدم تفرُّغها للتربية؟! وهل تفرُّغها للتربية يقتصر على البقاء في المنزل دون مؤهل؟! فقد نَجِدُ أُسَراً لِأُمٍّ عاملة أفرادها أكثر اعتماداً على النفس وتعاونًا وشعوراً بالمسؤولية من كثير من الأمهات الحاضرات الغائبات الجاهلات بمسؤوليَّاتهن!

أَمْ أنَّ مشكلات الأسرة نتيجةٌ لضعف المؤسَّسات التربويَّة والاجتماعيَّة، حكوميَّة أو أهليَّة، ذلك الضَّعف الَّذي أثَّر ويؤثِّر في الأبوين اللَّذين يتحمَّلان مسؤوليَّة تربية الأولاد، وكذلك الظَّواهر الاجتماعيَّة السّقيمة، الَّتي تحيط بالأسرة وتؤثِّر فيها سلبيًّا؟

هذه المشكلات كلّها سواء كانت داخليَّة أو خارجيَّة، هي الظَّواهر السلبيَّة الَّتي جاء الإسلام من أجل معالجتها بأساليب التربية المؤثِّرة وقايةً وعلاجًا.

إنَّ لكلِّ تربيةٍ من أنواع التربية قديمةً كانت أو حديثةً، مصادر معروفة تستمدّ منها أصولها الثابتة الراسخة؛ وتستقي منها منهجها وإطارها الفكري الذي نبع من تلك الأصول وتَشَّكل في صورته النهائية، ومن ثمَّ تَتِمُّ ترجمته إلى واقعٍ مُعاشٍ وممارساتٍ تربويةٍ ماثلةٍ للعيان.

ولأنَّ التربية الإسلاميَّة نابعةٌ من الدِّين الإسلامي الحنيف؛ فإنَّ مصادرها هي نفس مصادره التي تعتمد عليها التربية الإسلامية في بناء وتحديد معالم نظامها التربوي، فمصادر التربية الإسلامية مبنية على أمر الله ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، وتتمثَّل فيما يلي[1]:

(١) يُنظر: د. صالح بن علي أبو عرَّاد، هل التربية الإسلامية أُحادية أم ثُنائية المصدر؟، مكتبة الدكتور خليل الحدري؛ (موقع جامعة أم القرى الإلكتروني).

١) **القرآن الكريم**، بما فيه من تشريعاتٍ إلهيَّة وتوجيهاتٍ تربويَّة ربَّانية تهدي إلى الحق، وإلى الطَّريق المستقيم، وتهدف إلى إصلاح النفس البشرية وإسعادها في الدُّنيا والآخرة، وكمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

٢) **السُنة النبوية المُطهَّرة**، لما فيها من الهدي النبوي العظيم المستمد في الأصل من كتاب الله العظيم، ولما فيها من توضيحٍ وبيانٍ لمنهج التربية الإسلامية الذي جاء مجملاً في القرآن الكريم؛ إضافةً إلى كونها جاءت بتشريعاتٍ، وتوجيهاتٍ، وآدابٍ نبويةٍ أخرى لم تَرِد في القرآن الكريم؛ وإنَّما تمَّ استنباطها من حياة الرسول ﷺ ومعالم شخصيّته المتميِّزة التي جعلها الله ﷻ أُسوةً حسنةً وقدوةً متجدِّدةً، كقول الرَّسول ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، قَالَ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ»(٢).

ومن مظاهر الرَّحمة والشَّفقة والعطف في نطاق الأسرة، تقبيل الأولاد، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ، فَوَاللهِ مَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ ﷻ نَزَعَ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟**»(٣).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، باب: ما أعطى الله تعالى محمَّداً ﷺ، رقم الحديث: (٣١٧٨٢).

(٢) صحيح مسلم، باب: رحمته ﷺ الصبيان، رقم الحديث: (٢٣١٦).

(٣) البخاري في الأدب المفرد، باب: مَن لا يرحم لا يُرحم، رقم الحديث: (٩٨). قال الشيخ الألباني: صحيح.

٣) **منهج وتراث السَّلف الصَّالح**، ويشمل مجموعَ اجتهادات وآراء وأفكار العُلماء والفقهاء، والمربِّين المسلمين في مجال التربية عبر التاريخ الإسلامي، وما تزخر به سِيَرهم الخالدة من مواقف تربوية مختلفة؛ شريطة أن يكون هذا التراث مضبوطًا بالضوابط الشرعية؛ ومُحقِّقًا لأهداف التربية النبويَّة وغاياتها السَّامية.

٤) **الصَّالح من الفكر التربوي المُعاصر والمُسْتَجِدّ**، ويُقصد به: مجموع الدراسات والأبحاث العلمية والأُطروحات الفكرية والتَّجارب التربوية المُعاصرة، التي يُمكن الإفادة منها في القضايا والمشكلات التربوية المختلفة، بالانفتاح المُنضبط والبصير الإيجابي على مُختلف المعطيات الحضارية المُعاصرة؛ والتعاطي مع ما وصل إليه التقدُّم العلمي في مختلف المجالات.

والمعنى؛ أنَّ مصادر التربية الإسلامية كعلمٍ تربوي؛ تمتاز وتنفرد عن غيرها من أنواع التربية الأخرى بكونها تجمع بين نوعين من المصادر هما:

أ) **المصادر الإلهية** (الأصلية) المتمثِّلة في المصدرين الأساسين (القرآن و السُّنة)، لأنَّهما يشتركان في كونهما وحيًا من الله ﷻ.

ب) **المصادر البشرية** (الفرعية) الَّتي تتمثَّل في كلٍ من: تراث السَّلف الصَّالح لهذه الأمة وفكرهم التربوي في الماضي أو الحاضر، والصالح من الفكر التربوي المُعاصر والمُستجد؛ شريطة أنْ يتَّفِقَ هذا التُراث البشري قديمًا كان أو حديثًا، مع ما جاء في المصادر الأصليَّة، ولا يتعارض معه بأي حالٍ من الأحوال.

ولنا عبرة وعظة في بعض أبعاد دور أُم موسى وأخته حيال تربية نبيَّ الله موسى عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وكيف أنَّ رعاية الوحي السَّماوي، إلى أمِّه الصَّابرة كي تَقَرّ عينها، وَلِتَعْلَم أنَّ وعد الله حقّ.

وقد يكون في قراءة النَّص القرآني، والتأمُّل في أبعاده مباشرة ثراءً وغناءً، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

﴾ [القصص: ٧-١٣].

كما تجلَّتْ عظمة السيدة مريم ابنة عمران عليها السلام في صفة الصَّبر والشفقة على ولدها عيسى عليه السلام، وحكى القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ

صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم: ٢٢-٣٤]، فكان عيسى عليه السلام رحمة من الله، ولم يجعله جبَّارًا شقيًّا.

فإذا ربَّينا أبناءنا على أن يكونوا رحمةً من الله، نكون قد زَرَعْنا الرَّحمة في قلوبهم؛ فإنّنا أوَّل من نجني ثمار هذه الزِّراعة، ثمّ المجتمع من حولهم.

ولقد كانت وصايا لقمان الحكيم لابنه أنموذجًا يتوافر فيه التَّوجيه بالإخلاص في العبوديَّة والصّواب في المنهجيَّة، والنَّأْي عن الكِبْر والتَّعالي في العلاقات الاجتماعية، سطَّرها القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٢-١٩].

العلاقات الأُسرِيَّة أساس العلاقات الاجتماعيَّة:

إنَّ الأسرة جعلها الله ﷻ وأراد لها أن تكون محلّ السَّكن والسَّكينة، والوئام الاجتماعي والدِّفء النفسي، ووسيلة المودَّة والإيثار، وموطن الرَّحمة والتَّرَاحُم والإحسان، والأرض المناسبة لزراعة بذور مستقبل حياة الإنسان السلوكية، وميدان التدريب على هذه المعاني الإنسانية الرفيعة، لتصبح سَجِيَّة وخُلُقًا؛ يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

فالعلاقات الأسرية، تُشَكِّل أساسًا للعلاقات الاجتماعية الأوسع مدىً، وركائز أساسًا في العلاقات الإنسانية عامة، على اعتبار أن الإنسانية بعمومها منحدرة من أسرةٍ واحدة، وأنَّ اختلاف الألسن والألوان وتنوّعها، هوالَّذي يُشَكِّل المُحَرِّك الاجتماعي للتكامل والتعاون ونمو الحياة، وامتدادها وتدافعها، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]، حيث لا يمكن أنْ يكون الناسُ نُسْخَةً مكرَّرَة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، وما هذا الاختلاف إلاَّ آية اجتماعية أو سُنة كبرى من سنن الاجتماع، تدعو للتفكير والتأمُّل في كيفية استيعابها والإفادة منها وبناء العلاقات الاجتماعية في ضوئها، وحسن التَّعامل معها، ووضع الخطط والبرامج لنمو الأسرة وامتدادها، لأنَّها سبيل السَّكينة النَّفسيَّة التي بها سعادة الفرد، والرَّحمة والمودَّة التي تُشَكِّل الأُسُس النفسية لشبكة العلاقات الاجتماعية، ومنبع المعالجات الفكريَّة، كونها محيط الفرد الصَّغير للمجتمع الكبير.

المشكلات الاجتماعيَّة مُؤَشِّر خلل في البناء الأسري:

إنَّ الكثير من المشكلات الاجتماعية اليوم هي مُؤَشِّر خلل في البناء الأسري، وإذا لم يتم البناء الأسري على أُسُسٍ سليمة، يصبح الأمر معالجةً للآثار المُتَرَتِّبَة، لا للأسباب المنشئة.

والفجوة تَتَّسِع بين القيم الإسلامية والضَّوابط الشرعية وما أراده الله لجوِّ الأسرة، من شيوع السكينة، والتمتُّع بالمودَّة والرَّحمة، وبين الواقع المحزن الذي صار إليه حال الأسرة المسلمة، فالأسرة هي المعقل الذي احتفظ بالقيم، ومن خلالها يتمّ النقل الاجتماعي، لذلك لا تتمّ السَّيطرة وإحكام الاختراق والهيمنة إلاَّ باستهداف الأسرة، لأنَّها الوحدة الحضارية الأقوى، والاعتداء على الأسرة، ومحاولة إلغاء رسالتها ودورها، لم يتوقَّف تاريخيًا، ولكلِّ عصرٍ أساليبه، وليست قصَّة فرعون، كأنموذج متصاعد للظُّلم الإنساني، في تقتيل الأبناء واستحياء النساء، إلاَّ نافذة يمكن الإطلالة منها على دور الأسرة وقدرتها على الصُّمود، والأمل المتجدِّد في أداء وظيفتها، مهما اشتدَّت التحديات، إنَّه الأمل الخالد، وذو الدّلالة المستمرَّة على أنَّ الاعتداء على سنة الله في الخَلْق، بالعمل على تدمير الأسرة، سوف يبوء بالفشل أمام إرشادات الوحي من عند الله العزيز الحكيم.

إنَّ تدمير الأسرة ما يزال مستمرًا ولكن بأسلحة جديدة، كسلاح التعليم، والغزو الفكري، والإعلام والثقافة، والألعاب الرياضيَّة والإلكترونيَّة... إلخ، فهل تُعِيْدُ الأسرةُ التفكير برسالتها، وَتُطَوِّرُ وسائلها في التَّعامل مع هذه الأسلحة المُصَوَّبة إليها، وتستشعر التَّحَدِّي، وتكون تلك الأسلحة المُشْرَعة حافزًا على العودة إلى الذَّات، والتَّشَبُّث بالقيم الإسلاميَّة؟ يقول الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾

[القصص: ٥-٦].

من الأولويَّات: محاولة استيعاب المؤامرات التي تتابع شأن الأسرة، والتفكير بأدوات التَّعامل معها، وإبراز دور القيم الإسلامية في بناء الإنسانية السَّعيدة، ولابد من الاعتراف بأنَّ اقتصار كلامنا عن عظمة القيم الإسلاميَّة على حساب تنمية الأسرة والارتقاء بها، وتطوير وسائل التربية، أدى إلى الإصابات الأسرية البالغة، وعلى رأسها التصدع الأسري، وغياب جو المودة والرحمة والوئام الاجتماعي، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ويقول تعالى حكاية عن الشيطان؛ سواء في ذلك شيطان الإنس أو الجن: ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

لَقَدْ توقَّفَت الأسرة المسلمة عن النمو والامتداد بالشكل المطلوب في إطار القيم الإسلامية، وتحوَّلَتْ إلى أشكالٍ وَأَلْبِسَةٍ وعلاقات متوارثة، ولم تعُدْ تختلف عن غيرها في كثير من الأحيان إلاَّ بالعناوين، بينما تلتصق بها وتتَّحِد معها في المضامين.

إنَّ الأب الفاقد للمرجعية الشرعية، غير محيط بالعصر ومعطياته وتحوُّلاته وتغيُّراته، لا يمكن أنْ يقود أسرة ويُرَبِّي أولاده للعصر الذي يعيشون فيه، والأُم التي لا تمتلك الزاد الكافي من القيم الإسلامية، غير محيطة بالواقع الاجتماعي ومشكلاته وتحوُّلاته، تفشل في تربية أولادها وإعدادهم للعصر الذي يعيشون فيه ولو كانت طيِّبة حسنة الخلق والملبس، فالطِّيْبَة وحُسن الخلق دافع للتَّحَرِّي والمعرفة لما هو أفضل، وليس سبيلاً إلى العطالة وفقدان القدرة والإرادة.

فالآباء والأمهات الحريصون على تربية أولادهم بلا هُدى ومعرفة، يظنون أنَّ من التربية حرمانُ الأطفال من طفولتهم وحاجاتها، ولا يُدْرِكون مراحل نموّهم، لذا تقع انتكاسات خطيرة لأبنائهم، فَلِكُلِّ عُمْرٍ حاجاته ومشكلاته وأزماته.

ويبقى مطلوبًا دائمًا مراجعة الأبوين لوسائل التربية المرتبطة باستيعاب العصر وتوجُّهاته، وانفتاح العالم ومؤثراته المتسارعة، التي قد لا تتيح للإنسان أن يلتقط أنفاسه، فقد وصل إلى مرحلة لا تمكنه من الرَّفض كسبيل للنجاة، ولا تسمح له بقبول كلّ الموارد لأنها تُدَمِّر حياته وأسرته.

فالهاجس الدَّائم لابُدَّ أن يكون الاستمرار في النظر والاجتهاد التربوي والثقافي في كيفية تنزيل القيم الإسلامية على واقع الحياة وواقع الأسرة بشكل خاص، والتيقن بأن الفهوم والاجتهادات السابقة التي كانت ملائمةً لعصرها، قابلة للنَّسخ والتَّجديد في ضوء تغيُّر المجتمعات ومشكلاتها، وأنَّ الجمود عليها انقطاع عن الحياة واستمرارها، فالإنسان العاجز عن الاعتبار بالماضي ونقل عبرته لإصلاح الحاضر وإبصار المستقبل كمن لا ماضي له، وفي هذه الحال سوف يحدث الفراغ الذي لابد أن يملأه (الآخَر).

إنّ التطرُّف والعنف لا يمكن تطبيقهما أو العمل بهما إلاَّ حين يؤدِّي إلى خلق الفوضى وإهدار الحريات العامَّة، بمعنى أنهما ظاهرتان مُرَكَّبتان من عوامل متَّصلة بالبيئة الدَّاخلية أو بتدخُّلٍ من عوامل بيئة خارجية، أو بخليطٍ منهما معًا.

إذ تلعب العوامل الاقتصادية دورًا مُهِمًّا في توجيه سلوك العنف عند الناس والمجتمعات البشرية، فالحاجة الاقتصادية لا يشبعها أيّ بديل محتمل، وكثرة

المشكلات الاقتصادية تؤدي حتمًا إلى تدمير الحضارة وأسس البناء الاجتماعي، وتترك آثارها على عامَّة أبناء المجتمع، فالبناء الاقتصادي يُسَبِّب نمو علاقات اجتماعيَّة معيَّنة، فإذا كانت مُشبعَة اقتصاديًّا أَحْدَثَتْ التماسك والتَّرابط الاجتماعي، وإن كانت عكسَ ذلك وَلَّدَتْ السُّلوكَ العدائي والعنفَ، ووفقًا لذلك؛ يمكن حصر بعض الأسباب والعوامل الناشئة عن تنامي ظاهرة العنف على صعيدين داخلي وخارجي:

أ- **عوامل داخليَّة**: تكمن في بعض المشاكل الرئيسة التي يفرزها المجتمع، ومنها :

١- التخلُّف: الناتج عن السياسات الاقتصادية غير المتلائمة مع الواقع الاجتماعي، بحيث تتكوَّن فجوة تتَّسِع تدريجًا بين مفهومَي الفقر والغِنى، وبين أهميَّة التعلُّم والرِّضا بالأمر الواقع للجهل، وهُوَّة سحيقة بين ذوي المصالح الاقتصاديَّة الواسعة وبين فئات اقتصاديَّة مهمَّشة.

٢- البطالة: سواء كانت بطالة حقيقية أَمْ مُقَنَّعَة؛ فانتشارها بصورة واسعة لدى الشباب خاصَّة؛ يُوَلِّد شعورًا بالعجز واليأس والاحباط، إلى جانب الشعور المرتبط بواقع الحياة المرير وأن ليس لديهم ما يغيِّروه أو لا فائدة بالاستمرار بالحياة، هذا الواقع مترابط مع جهات أو جماعات مستعدة لتقديم أموال كبيرة لقاء أعمال صغيرة يستشعر معها الشباب أنَّهم يقومون بعمل ما، ولوكان ذا طابع عنيف أو دموي، لكنه بالنسبة لهم عمل هادف يستحقّ الجهد المبذول فيه، فالشاب الذي لا يجد له فرصة عمل يكون هدفًا سهلاً لمختلف الاتجاهات المتطرفة دينيا أو سياسيا أو عصابات النَّصب والاحتيال والسَّطو المسَّلح.

٣- سوء توزيع الثروة: فالخلل في العدالة الاجتماعية يُفرز قدرًا متعاظمًا من الظُّلم الاجتماعي الجماعي والحرمان النسبي لدى قطاعات متزايدة من السكان، وهذا ليس بالضرورة ناتجًا عن الفقر والافتقار على المستوى الفردي، لأن الأفراد القائمين بأعمال العنف قد يكونون أغنياء بذواتهم، ولكنَّهم يشعرون بالتهميش والدُّونية من قِبَل المجتمع، مما يخلق حالة من الغضب والنقمة لدى فئة معينة تجاه فئات أخرى؛ وردّ فعل متطرف مصحوب بعمل إرهابي.

٤- عمليات الفساد الإداري الحكومي في معظم البلدان، والأزمات الاقتصادية المستمرة كالتَّضَخُّم والكساد الاقتصادي والكسب غير المشروع في صفقات تتم بشكل غير قانوني مع رجال الدولة، أو الدُّخول في صفقات غير قانونية لتمرير العشرات من أنواع البضائع الفاسدة بجهود أشخاص ذوي نفوذ في الدولة؛ كل هذا يولِّد لدى الشباب أو المحرومين سلوكًا عدوانيًّا عنيفا من الكبت، فينفجر بعمل عدواني مُنَظَّم يستهدف الأشخاص والمؤسسات أو الدولة ذاتها، مما يؤدي إلى تدهور الأبنية الاقتصادية والاجتماعية للدولة، وهنا يتخذ الإرهاب صوراً عديدة؛ منها: (حالات السلب والنهب؛ وعمليات الاختطاف المنظمة المصحوبة بدفع فدية مالية معينة تستخدم لتمويل عمليات إرهابية على الصعيد السياسي من تنظيم حملات مسلَّحة وغيرها).

المعالجات التربويَّة الفكريَّة والنفسيَّة في ثغرات حصن الأُسرة:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١]: «من أراد أن ينظر إلى وصيَّة محمَّد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾» [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

لا يدري كثيرٌ من الناس أنَّ الطفل واحدٌ من رجال الأُمَّة إلاّ أنَّه مُسْتَتِرٌ بثياب الصِّبا، فلو كشف لنا عنه وهو كامنٌ تحتها؛ لرأيناه واقفًا في مصافّ الرِّجال القوّامين، لكن جرَتْ سنَّة الله أنْ لا يتّفق زوال تلك الأستار إلاَّ بالتربية شيئًا فشيئًا، ولا تؤخذ إلاَّ بالسّياسات الجيِّدة على وجهٍ من التدريج[٢]، فلا مناص من أن يكون المدخل الأساس لدرء المفاسد التي تهاجم الأسرة وتنخر عظامها وتودي ببنائها، هو إعادة هيكلة الفرد في الأسرة من خلال تنميته وبرمجته بإحكام، وفق منهج تربوي شامل متوازن، يستهدف مكوِّنات شخصيَّته، لاستعادة فاعليته لتمارس نشاطها وإبداعها، وإعادة بناء نسيج الحياة

(١) سنن الترمذي، الحديث: (٣٠٧٠)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) يُنظر: الشيخ محمّد الخضر حسين، مجلَّة السَّعادة العظمى، ص: ٩٠.

الاجتماعية على أساس ما توخَّاه الإسلام من أهدافٍ وغايات.

والمدخل الرئيس لتأسيس عملية تغيير الواقع الفاسد المهترئ، وفي صلبه واقع الأسرة المتردِّي، هو في دور التربية الدينية الإسلاميَّة، الذي ينبغي تضافره لإنجاز هذا الفعل الحضاري:

أَوَّلا: إدراك مفهوم الفطرة التي فطر الله النَّاس عليها؛ قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، وتعميق الاستعداد النفسي لاحترام الفطرة والخضوع لمقتضياتها، والتنبيه إلى العواقب الوخيمة والمدمرة التي تنجم عن مخالفتها ومعاندتها.

ثانيًا: إبراز سنن التكامل بين الرَّجل والمرأة كـ(سنة كونية)، يؤدِّي تَجَاهُلها إلى خسائر فادحة على مستوى سير الحضارة الإنسانية، وسعادة الإنسان وشعوره بمعنى الحياة، يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ثالثًا: ترسيخ إحساس كلّ من الجنسين (الذُّكور والإناث) بالاعتزاز بجنسه، وتقوية استعداده للعمل على خدمة مجتمعه وأمَّته، بمقتضى ما يؤهِّله ذلك التميُّز الذي يعكس أحد مظاهر الحكمة ودلائل قدرة الباري ﷻ، الَّذي يقول: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

رابعًا: شرح خطة شراكة الحياة الزوجيَّة الشَّاملة بما تستلزمه من أركان وشروط ومؤهِّلات ماديَّة ومعنويَّة، وما يتوخَّاه من مقاصد تَعَبُّدِيَّة ونفسية واجتماعية وعمرانية.

خامسًا: إعطاء القدوة الصَّالحة من طرف الآباء، فيما يتعلَّق بحسن قيادة الأسرة وفق قواعد المنهج الإسلامي التي تجمع بين الحَزم واليقظة والرِّفق والرَّحمة، وهذا أسلوب ناجع في إعداد الأولاد ليكونوا في المستقبل ناجحين مقيمين لِأُسَرٍ هادئة تمارس وظيفة الاستخلاف بِثِقَةٍ واقتدار.

سادسًا: تزكية نفوس الناشئين من خلال القرآن والسُّنَّة، بجملةٍ من القيم التي من شأنها أنْ تُشَكِّل حصنًا واقيًا من كلِّ ما يهدِّد أمن الأسرة واستقرارها بعد مرحلة التأسيس، فضلاً عن ضرورة إدراك الآليَّات والمهارات واكتساب الاتجاهات والعادات المساعدة على التزام الحكمة وحسن التدبير في التعامل مع الأسرة وتسيير شؤونها.

فمثلاً تكون المعالجة التربوية للأولاد في العوامل الدَّاخلية الناشئة عن تنامي ظاهرة العنف، بتفسير آيٍ من القرآن ذات الصِّلة بالدَّاء، أو رواية الحديث النبوي، أو سَرْد قصص تشَدُّهم إلى شخصيَّة تاريخية، مع التَّأكيد على الخطاب المباشر على قدر عقولهم، والحوار الهادئ، وتدريب حواسّهم بالتَّجارب العمليَّة؛ فمثلاً:

* معالجة داء التخلُّف وَالجهل كأمر واقع، ببيان أهميَّة العلم النافع وتَقَدُّم المجتمع به؛ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ -إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ-: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»[1].

(١) سنن ابن ماجة، باب: ما يقال بعد التسليم، رقم الحديث: (٩٢٥). وقال الألباني: صحيح.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ، فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذًا أَعَاذَكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ**»؛ قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا شَرِبَ مَاءَ زَمْزَمَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ**»[(١)].

وكذا ببيان أنَّ العلم والتعلُّم لا يتعارض مع اليُتْم والفقر، فيقصّ الأب أو الأُم حكاية الإمام الشّافعي حيث كان فقيراً يتيم الأب، ولم تكن أمّه تملك المال الكثير لتعلِّمه كأبناء الأغنياء، فكان معلِّم الإمام الشافعي يتركه ويعلم أبناء الأغنياء، وكان عمره أربع سنوات؛ فرجع إلى أمه يشكو حاله فقالت له: يابني؛ عندما يذهب أستاذك ليعلم أبناء الأغنياء اذهب أنت واجلس بجانب هذا الولد ولا تضايقه ولاتُشعره بأنك تتطفل عليه، يقول الإمام الشافعي: ففعلتُ كما أمرتني أمي حتى أصبحتُ أدرّس أبناء الأغنياء في حال غياب المعلم، فتعجَّب المعلم مني وأصبح يعيرني الاهتمام لأساعده في مهمته حال غيابه، وتعلَّمتُ من هذا: التذلل للعلم؛ والأدب للمعلِّم، ومن شدَّة فقره لم يكن يملك الورق ليكتب عليه، فذهب لأمه أيضاً يشتكي فقالت له: لا عليك يا بني، وذهبَتْ به إلى ديوان الملك حيث يقوم المُدَوِّن بكتابة ما يريد ثم يرمي الورق، فكانت تأخذ الورق المرمي وتُحضره لابنها ليكتب عليه من الخلف، وكانت إذا تصدَّق عليها الأغنياء تطلب أن يتصدقوا عليها بالورق، ولم تكن هذه الأوراق تكفيه؛ فذهبت به إلى مكان ذبح الغنم تأخذ عظام الغنم وتجفِّفه ليكتب عليه، فكان يحمل العظام على كتفه وهو ابن السابعة، وكانت حريصة على أن يكون ابنها

---

(١) المستدرك على الصَّحيحين للحاكم، رقم الحديث: (١٧٣٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

حافظاً للقرآن الكريم والحديث والتفسير، فكانت تسافر به إلى أي مكان تجد فيه العلم، حتى أنَّها رَهَنَتْ منزلها لتغطية مصاريف السفر والدِّراسة(١).

* معالجة داء الفقر والبطالة: ببيان خطورة الفقر، وأنَّه مدعاة إلى الكُفر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ**»(٢)، وفي معالجة داء البطالة، بالتنشئة على فضيلة الكسب، فعَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(٣)، وبالتدريب على العمل الحرفي والمهني (كالاحتطاب مثالاً)، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**»(٤).

وبالتدريب على العمل الزِّراعي (كغرس الفسيلة)، وبيان فضله وأهميَّته، فَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»(٥)، وعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى أَنْ أَغْرِسَ لَهُمْ خَمْسَمِائَةِ فَسِيلَةٍ، فَإِذَا عَلَقَتْ فَأَنَا حُرٌّ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْرِسَ فَآذِنِّي**»، فَآذَنْتُهُ فَغَرَسَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً، غَرَسْتُهَا بِيَدِي، فَعَلَقْنَ جَمِيعًا إِلَّا الْوَاحِدَةُ الَّتِي غَرَسْتُهَا(٦).

---

(١) يُنظر: مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، (قصَّة الإمام الشافعي)، ص: ١٠-١١.
(٢) سنن أبي داود، باب: في الاستعاذة، رقم الحديث: (١٥٤٤). وقال الألباني: صحيح.
(٣) صحيح البخاري، باب: كسب الرّجل وعمله بيده، رقم الحديث: (٢٠٧٢).
(٤) صحيح البخاري، باب: بيع الحطب والكلأ، رقم الحديث: (٢٣٧٤).
(٥) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك، رقم الحديث: (١٢٩٨١).
(٦) مسند ابن أبي شيبة، حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث: (٤٦٩).

* معالجة سوء توزيع الثروة، إذ في الهدي النبوي التَّالي التربية بالقدوة؛ فعَن النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «... **فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى هَذَا؛ هَذَا جَوْرٌ، أَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النُّحْلِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ**»(١).

وفي الهَدي النبوي الآتي حسن إدارة المنزل، فعَن سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى المَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لاَ**»؛ قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «**لاَ**»؛ قُلْتُ: فَالثُّلُثِ؟، قَالَ: «**وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**»؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَأُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»(٢).

* معالجة فكر ونفسيَّة الأولاد من عمليّات الفساد في المجتمع، ببيان الهدي النَّبوي، فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا**»(٣).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، باب: ما يستدل به على أن أمره بالتسوية، رقم الحديث: (١٢٠٠٣).

(٢) صحيح البخاري، باب: حجَّة الوداع، رقم الحديث: (٤٤٠٩).

(٣) سنن الترمذي، باب: ما جاء في الإحسان والعفو، رقم الحديث: (٢٠٠٧)؛ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

وأَنْ يتمّ تربية وتنشئة الأولاد على الرِّضا والقناعة، فعَن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»(١).

ب - عوامل خارجيَّة: المؤثِّرات المُهلكة في حقبة العولمة:

إنَّ أعمال العُنف لا تنفي أو تلغي دور العوامل الخارجيَّة المسبِّبة لظاهرة الإرهاب، ولعلَّ من أبرز سِمَات شخصية حضارة العصر: غياب إنسان الإيمان، وغياب تربية القرآن؛ وبروز إنسان الخصومة، وكُفر النعمة والفجور، وعدم المسؤوليَّة والشعور بالتبعة لِتَرْكِ الهدي النبوي، الأمر الَّذي يُذَكِّرُنَا بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٥-٦].

وعندما يتطلَّع الأبوان لأن يكون ولدهما صالحًا محافظًا على صلاته؛ بارًّا بوالديه يهتمُّ بشأن المسلمين ويساعدهم، فهذا التطلُّع أُمْنِيَة عظيمة يتمنَّاها كلّ الآباء والأمهات، وتستدعي الحاجة لتحقيق هذه المعادلة الرُّبَاعِيَّة إلى أمرين:

الأوَّل: متابعة الولد تربويًّا وغرس القيم الإسلاميَّة فيه من صِغَرِهِ إلى أنْ يكبر.

الثاني: القدوة الحسنة له، بالصَّلاح والمحافظة على الصَّلاة، والبرّ بالوالدين، وخدمة المسلمين.

ومع تغيُّر طبيعة الحياة التي نعيشها، فقد ينشأ الطفل في بيتٍ صالح، ولكن

---

(١) سنن ابن ماجه، باب: القناعة، رقم الحديث: (٤١٤١)، (في سربه) في النهاية: يقال فلان آمن في سربه؛ أي في نفسه. (حيزت) أي جُمعت. قال الألباني:حسن.

ليس بالضَّرورة أن تكون العائلة كلّها صالحة، فيتأثر بسلوكيات أقربائه ومحيطه في المدرسة والمجتمع.

ولحقبة العولمة أربعة مؤثِّرات مُهْلِكة: (الإلحاد، التطرُّف الدِّيني، إدمان المخدّرات، والإلهاء التكنولوجي)، هذه المؤثِّرات بآحادها وبمجموعها؛ تجرُّ إلى فخِّ الإرهاب إنْ لم يُكبحْ جِماحُها، فَعَلَى الأبوين مواجهتها بإجراءات تربويَّة مُهِمَّة لحماية الأولاد من الوقوع في مستنقعاتها، منها:

الأوَّل: ملازمة الأبوين للولد ومتابعة سلوكه وأفكاره، وهذا يتطلَّب تفرُّغ الأبوين له، وتكثير الحوار معه، وبناء العلاقة معه على أساس الصَّداقة للتحبيب، ومن ثمّ يتمّ فتح قلبه لأبويه، ويمكِّننا من فَهْم ومعرفة ما يدور في نفسه.

الثاني: قدوة الأبوين الصَّالحة للولد، فالأطفال يتأثَّرون بالمشاهَدة والسُّلوك الذي يمارسه الأبوان أكثر من تأثُّرهم بالكلام والنصائح.

الثالث: (التوعية المبكِّرة)، بالحديث مع الولد عن هذه المؤثِّرات المهلكة الأربعة:

* فالأوَّل: الإلحاد المُسَيَّس المُوَجَّه، الَّذي تديره أيدٍ خفية في مواقع التَّواصل الإلكتروني، وتديره حركات ومنظمات مشبوهة تهدف لضرب أمن واستقرار المجتمعات المسلمة الآمنة، فالعبث الدائم بشرايين الحضارة في البلاد الإسلامية عبر الزَّج بها في متاهات التجريب، والسَّعي الدَّائم لإغلاق أيّ منفذ يتيح وصل ما انقطع، وأنّ ما يعيشه قطاع التعليم منذ أن قررت البلدان الإسلامية اعتماد نظم التعليم الحديثة خير مثال؛ حيث رَاهَنَتْ غداةَ استقلالها على نظريات ووصفات تربوية تَنهَلُ من مَعِينٍ فلسفة غربية مقطوعة الصِّلة بالسَّماء، فنشأ جيل غير متوازن القوى، تضخَّمَتْ بعض نواحي إنسانيَّته وحياته

على حساب البعض الآخر، وأصبحت المسافة شاسعة بين ظاهره وباطنه، وعقله وقلبه، وعلمه وعقيدته[١]، وهنا يأتي دور الأبوين بتطرُّقهما في الدروس المنزلية إلى القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة الشريفة والسِّيرة المطهرة؛ لمواجهة خطَط أعداء الله نحو نشر الإلحاد؛ عداوةً لله ﷻ، فأنكروا وجوده وشكَّكوا في ذلك، فليس النقاش في توحيد الألوهية، بل في توحيد الربوبية الآن، ويذكُرُ ربّ الأسرة بأنَّ الله ﷻ قد تولَّى الرَّد على هؤلاء فقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، ثمَّ يقوم الأب بتفسير هذه الآية، ويُسْتَحْسَن من مصادر عِدَّة من كتب التّفسير.

ويُعَظِّم الأبوان الله ﷻ في نفوس الناشئة والأولاد، بتقرير التوحيد: أتدري ما الله؟ وما دينه؟ وما كتابه؟ وما ملائكته؟ وما نبيّه؟

ويُذَكِّرانهم بقوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٨-١٥٢]. ويتمّ سرد وشرح وتفسير آيات من كتاب الله للأولاد، مثل: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا

(١) أبو الحسن الندوي، التربية الإسلامية الحرة، مؤسَّسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧، ص: ٤٤.

يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، وغيرها من الآيات الكريمات، فلا بُدَّ من تأسيس قواعد الإيمان في نفوس الأولاد لمواجهة تيار الإلحاد، الذي يغزوا كل شيء، سواء في الأسرة، وفي الرَّوضة والمدرسة، ويبيِّن الأبوان الرَّد على الملاحدة، ومناقشتهم بجميع أنواع الأدلة، وهنا يكون تحصين الأولاد من آفة الإلحاد، ويكون الرَّد على الذين يشكّكون في حكمته ﷻ، ويشكّكون في قضائه وقدره ﷻ.

* والثاني: التطرُّف الدِّيني، ويقوم ربّ الأسرة ببيان أنَّ النُّصوص الإسلاميَّة تدعو إلى الاعتدال، وتُحَذِّر من التطَرُّف، وهذا التَّحذير من التطرُّف والغلو لأَنَّ فيه عيوبـًا وآفات؛ منها:

العيب الأَوَّل: أنّ التطرُّف الدِّيني مُنَفِّر لا تحتمله الطبيعة البشرية السوية، ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه بعضُهم لم يصبر عليه جمهورهم، والشَّرائع إنَّما تخاطِب الناس كافة، لا فئات خاصة.

العيب الثاني: أنَّه قصيرُ العمر، والاستمرار عليه في العادة غير متيسّر، فالإنسان ملول، وطاقته محدودة، فإنْ صبر يومـًا على التشدُّد والتعسير، فَسُرْعَان مايَقِلّ جهده البدني والنفسي، فَيَسْأَم ويدع العمل حتَّى القليل منه؛ أو يأخذ طريقـًا أخرى عكسية فينتقل من الإفراط إلى التَّفريط، ومن التشدُّد إلى التسيُّب!

العيب الثالث: أنَّه لا يخلو من جَوْر على حقوق أخرى يجب أنْ تُراعى، وواجبات يجب أنْ تُؤَدَّى، فيبيِّن الأب بأنَّ التطرُّف يبلغ غايته حين يُسْقِط عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم وأموالهم فلا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك إنَّما يكون حين يخوض لُجّة التكفير، ويتهم جمهور الناس بالخروج من الإسلام أو عدم الدُّخول فيه أصلاً كما هي دعوى بعضهم، وهذا يُمَثِّل قمَّة التَّطَرُّف الَّذي يجعل صاحبه في وادٍ، وسائر الأمَّة في وادٍ آخَر.

ثمّ يبيِّن الأب وصف النبي ﷺ هؤلاء بقوله: «**يحقر أَحَدُكُمْ صَلاَتَه إِلَى صَلاَتِهِم، وَقِيَامَهُ إِلَىَ قِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ إِلَىَ قِرَاءَتِهِمْ**»؛ ومع هذا قال عنهم: «**يَمْرُقُوْنَ مِن الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْم مِن الرَّمِيَّة**»، ووصف صلتهم بالقرآن، فقال: «**يَقْرَؤُوْنَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيْهِمْ**»؛ وَذَكَرَ علامتهم المميَّزة بأنَّهم: «**يَقْتُلُوْنَ أَهْلَ الإِسْلاَم، وَيَدَعُوْنَ أَهْلَ الأَوْثَان**»[(١)].

ويَذكر الأب أمثلة في الفهم الخاطئ للإسلام، مثل: حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث: (١٠٦٤).

(٢) صحيح البخاري، باب: الترغيب في النكاح، رقم الحديث: (٥٠٦٣).

وقول النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوّ فِي الدِّيْنِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِالغُلُوِّ فِي الدِّيْنِ**»(١)؛ وسبب ورود الحديث يُنبِّهُنا إلى أمرٍ مُهِمّ، وهو أنَّ الغلو قد يبدأ بشيءٍ صَغِير، ثُمَّ تَتَّسِع دائرته، ويتطاير شرره، وذلك أنَّ النبي ﷺ حين وصل إلى مزدلفة في حجَّة الوداع قال لابن عباس رَضِّوَاللَّهُعَنْهُ: (هلمّ القُطْ لي -أي حصيات ليرمي بها في مِنَى- (قال: فلَقَطْ له حصيات من حصى الخذف - يعني حصى صغاراً ممَّا يخذف به - فلمَّا وضعهنّ في يده، قال: (نعم؛ بأمثال هؤلاء، وإيّاكم والغُلُوّ في الدِّين...). أَوْ يَذكر الأبُ قِصَصًا عن التطرُّف الواقعي الذي نعيشه، ثم يعقب على هذه القصص بتذكيره ولده بقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فلا نكون شهداء على الناس يوم القيامة؛ حتَّى نكون وسطاً معتدلين في فهم الدِّين(٢).

❋ الثالث: إدمان المخدّرات، لابدّ من الأبوين أن يكونا على دراية بعلامات تعاطي وإدمان المخدّرات، ثمَّ يقومان بالحديث مع الولد عن المخدّرات وأضرارها، والتحذير من التَّوَهُّم بفوائدها، فيكون الولد على وعيٍ ودرايةٍ بالأفكار والأشياء التي تدمِّر الإنسان، وفي حال ملاحظة أعراض ظهور وتعاطي المخدرات؛ يتعامل الأبوان معها بشكلٍ عاجل، ويجب على الأبوين:

- معرفة حجم مشكلة تعاطي وإدمان المخدرات في مجتمعاتهم وداخل مدارس أولادهم.
- قدرتهم على معرفة العلامات الدالة على إدمان المخدرات.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي وابن ماجه في سننيهما، والحاكم في مستدركه.

(٢) يُنظر: د. جاسم المطوع، أمنية عظيمة: كيف أحمي ابني من ثلاثي التطرف؟، بتاريخ ١٣ يناير ٢٠١٥.

- مقابلة واجتماع آباء وأمهات أصدقاء وزملاء أبنائهم بالمدرسة، وإجراء الحوارات عن حجم مشكلة الإدمان داخل المدرسة.

- إقامة وسائل يَسهل معها تبادل المعلومات حول المخدرات وخطرها، وذلك لتحديد فئات الأولاد الذين يتعاطون المخدرات، ومَن الذي يقوم بإعطائهم إياها، ويجب على الآباء الذين يَشُكُّون في أنَّ أولادهم يتعاطون المخدرات أنْ يتعاملوا مع المشكلة دون تعصب وحنق وشعور بالذنب، فبعض الآباء يتغافلون عن التأكُّد من صحة ظنهم بتعاطي الأولاد المخدرات، ويؤجِّلون مواجهتهم بذلك، فتزداد الصُّعوبة في عملية التغلُّب عليها.

الرّابع: الإلهاء بمنتجات (الآخَر)، فقد أدرَك الغرب أنَّ البُعد العسكري لا يمكن أن يُحقِّق نتائجَ تُذكَر في تجريد الشعوب الإسلامية من هُويتها الفطريَّة وشخصيَّتها الإسلاميَّة؛ فبناؤها العقدي والقيمي أقوى وأشدُّ من الترسانة الحربية، وأن الصدام المباشر يُضاعف من التحام الأفراد بدينهم وثقافتهم؛ لذا انتهج سبيلاً آخَرَ يعتمد الهدمَ من الدَّاخل، وتشكيل طبقة عازلة تتولَّى زعزعة الثابت، والتشكيكَ في قدرة الأمة على الانبعاث مجددًا دون عون من الخارج، لم يقف الأمر عند انبهار المغلوب بثقافة الغالب وحضارته، بل تجاوَزَه إلى اليقين التام باستحالة كل نهضة أو تطوُّر من خارج المرجعية الحضارية الغربية، وهو ما حرَص الغربُ على تغذيته معتمدًا على مقدراته العلمية والتكنولوجية، وعلى الرُّضوض النفسية والفكرية العميقة التي بذرها مأزِقُ التخلف.

ويتحقَّق الإلهاء لبلوغ هذا المرمى، بإذكاء الرَّغبة في البطولة والتفوُّق، وهي سمة رئيسة لمرحلة الشباب المبكِّر، حيث يتمّ الهبوط بمستوى البطولة هبوطًا مشينا، وتوجيه الشباب لـ«عبادة» أبطال يُحقِّقون الرِّيادة في مجالات لا تُفضي إلا

إلى المزيد من التفسُّخ النفسي والتفاهة والانحلال[١].

إنَّ صُنَّاع هوامش الإلهاء لا يَكُفُّون عن تحديث ترسانتهم، والإمعان في تفتيت الهوية والخصوصية والانتماء للدِّين والوطن، وهذا يُسائل مناعتَنا الذاتية، ويختبر صِدقَ انحيازنا للعقيدة والرسالة وواجب الاستخلاف؛ فهل سيقف الأمر عند حدود الصِّيَغ الوعظية الباردة، التي لا تروم أبعدَ من دمعة عين وخفقة قلب؟ أم يفرض واقعُ الحال استعادةَ برامج ومناهج التغيير الَّتي أرساها الإسلام؛ تلك البرامج التي تجعل التَّغيير الإلهي ثمرةً لتغييرِ ما بالنَّفس، وتُوجِّه الطَّاقات والنَّوازع الدَّاخلية وفق ضوابط خُلُقِيَّة وعقليَّة وسلوكيَّة ليصبح الإنسان عمرانيًّا بَنَّاء مفيدًا لبني جنسه؟[٢].

وفي غمرة ازدهار التكنولوجيا الاستهلاكية في أواخر القرن الماضي: انتشر الهاتف الجوال، والكمبيوتر المحمول، ومشغِّلات الموسيقى، والألعاب الالكترونية، فرغم أنَّ التكنولوجيا الجديدة تجعل الإنسان على اتِّصَالٍ دائم، لكنَّها في الوقت نفسه، تبقيه منفصِلاً بصورة دائمة، ويعرف المعلِّمون والمعلِّمات كيف تُمَزِّق هذه التكنولوجيا غرفة الصَّف داخل المدرسة، وقاعة التعليم، وتعطُّلها لانشغال الطُّلاَّب بتفحُّص وتصفُّح المواقع على الإنترنت، أوبرامج التواصل الاجتماعية مع الآخرين في المجتمع الافتراضي، وهنا يأتي دور الأبوين بالتّوجيه لتخَلُّص الأولاد من الاستخدام الزَّائد للتكنولوجيا؛ بغية التَّمَكُّن من الاستمتاع بالفوائد والجمالات الاجتماعية، والالتزام بالتَّفكير النَّاقد في الصَّف المدرسي وقاعة التعلُّم، لأنَّ مستقبلنا سيكون في خَطَرٍ بغياب التَّوجيه،

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج٢. دار الشروق: القاهرة، ١٩٩٢، ص: ٢٦٧.
(٢) د. طه جابر العلواني، الأزمة الفكريَّة ومناهج التغيير، دار الهادي: بيروت، ٢٠٠٣، ص: ١٧.

ولن نستطيع وضع معايير صالحة للأجيال القادمة إذا لم نمارس الذَّكاء التَّواصلي أو الاجتماعي في البيت والمدرسة والمحيط المجتمعي.

* وعلى رأس هذه الإجراءات: (الدُّعاء) بأن يدعو الأب لأولاده، فدعوته مستجابة؛ لحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثُ دعوات لاَ تُرَدّ: دعوة الوالد، ودعوة الصَّائم، ودعوة المسافر**»[(١)].

مختارات من الأدعية المستجابة في القرآن الكريم:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

سبحان ربّك ربّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) السنن الكُبْرَى للبيهقي (٣/ ٣٤٥)، وَالأحاديث المختارة للضِّياء المقدسي، رقم الحديث: (٢٠٥٧).